

أسلحتنا ضد الخوف

القديس نيكولاس فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

“ فَتَعْمَلُونَ فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ وَتَحْكُمِي وَتَعْمَلُونَهَا لِتَسْكُنُوا عَلَى الْأَرْضِ آمِنِينَ. وَتُعْطِي الْأَرْضُ ثَمَرَهَا فَتَأْكُلُونَ لِلشَّيْخِ، وَتَسْكُنُونَ عَلَيْهَا آمِنِينَ. ” (لاويين ١٨: ٢٥-١٩، أنظر أيضاً ٥: ٢٦).

ما السبب الذي يجعل كل الناس يعيشون في خوف؟ ماذا يخافون على الأرض؟ مما يخاف الأفراد على الأرض؟

شعب يخاف شعباً ثانياً، وشعب غيره يرتعد أمام شعب غيره. إنسان يخاف من إنسان آخر. وشخص يرتجف أمام شخص آخر. جدنا جميعاً، آدم، كان يخاف الجنة. كان خوف الجنة يسيطر عليه، فكيف لنسله أن لا يكون مستحوذاً عليه الخوف، بعد أن نُفينا من الجنة.

عندما عصى آدم وزوجته وصية الله، عندما انتهكا ناموس الطاعة اختبئاً عن وجه الله (تكوين ٣: ٨)، اختبئاً بين أشجار الجنة، واختبئاً في الغابة، تماماً كما تخفي النعام رأسها في الرمال عندما تشعر أن صياداً يهددها.

قال آدم لله عندما سأله عن مكانه: “سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشَيْتُ”. وهذا ما يحدث لنسل آدم إلى اليوم. عندما يسمع الأطفال صوت آبائهم، يفرحون ويظهرون أمامهم. ولكن إذا كان قد فعلوا شيئاً قبيحاً لهم ألا يفعلوه، فإنهم يختبئون بين الأثاث، أو في الغابة ويبحثون حتى عن أكثر الملاجئ عبثية هرباً من آبائهم. وعندما تظهر محبة والديهم بالسؤال: “أين أنت؟” لا يزال الأطفال الأشقياء يجيبون، حتى يومنا هذا، “سَمِعْتُ صَوْتَكَ فَخَشَيْتُ”، تماماً كما فعل آدم مع الله.

عند هذه النقطة نتطرق إلى أساس الطبيعة البشرية والعلاقة بيننا وبين الله المخلص. فهذان الأمران مرتبطان. إنه لقاء محبة. الذين يحبون لا يخافون. المحبة الحقيقية تطرد الخوف.

انظروا إلى جميع جوانب الحياة، أنتم الذين ولدتمهم الأرض، وستدركون مدى صحة هذه العبارة: المحبة الكاملة تطرد الخوف. عندما تكون المحبة حاضرة، لا يكون الخوف. عندما تغيب المحبة، يسيطر الخوف. من أين يأتي الخوف؟ من فقدان المحبة. مما تتكون المحبة؟ يجيب القديس يوحنا: “هُوَ كَفَارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَحْظٌ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضًا. وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ قَدْ عَرَفْنَا: إِنَّ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ.” (١ يو ٢: ٢-٣).

بمجرد أن تُطَاء وصية الله، تطير المحبة مثل الطائر من قلوب المذنبين ويحل محلها الخوف. لا يختلف الخوف عن العصيان والخطيئة والظلم.

فهل تفهمون الآن يا إخوتي، لماذا كان آدم خائفاً واختفى بسرعة، حتى لا يضطر إلى مواجهة الله؟ كان خائفاً لأنه كسر شريعة الله. هل تفهمون الآن لماذا يخاف الناس من غيرهم ويخشى الناس بعضهم؟ كما كان الأمر في ذلك الوقت، هكذا هو الآن. حيثما يكون عصيان وصايا الله، يكون الخوف هناك. والخوف يسلب قوتنا وكرامتنا. وهل هناك علاج لهذا الخوف بين الناس والشعوب؟ هناك الطبيب الأسمى. فهو مَنْ كتب وصفة الدواء في كل من العهدين القديم والجديد. وهذه هي الوصفة: “تَعْمَلُونَ فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَامِي وَتَعْمَلُونَهَا لِتَسْكُنُوا عَلَى الْأَرْضِ آمِنِينَ” (لاويين ١٨: ٢٥).

هكذا تكلم الله من الأعالي من خلال الأنبياء في العهد القديم. وفي العهد الجديد قال من خلال الرسل: “لَا خَوْفٌ فِي الْمَحَبَّةِ” (١ يوحنا ٤: ١٨) “بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ قَدْ عَرَفْنَا: إِنَّ حَفِظْنَا وَصَايَاهُ” (١ يوحنا ٣: ٢).

أيها الناس وشعوب الأرض، إذا كنتم ترغبون في العيش بسلام في دياركم، دون خوف، فتسلحوا بالسلاح الذي ذكرناه: المحبة.

Source: Άγιος Νικόλαος Βελιμίροβιτς. Τα όπλα μας ενάντια στον φόβο. Αγία Ζώνη. Εκκλησιαστικό Ήθος. 18/07/2022. <https://agiazoni.gr/ta-ōpla-mas-ēnántia-stōn-phōbo/>